

الجهل نوعان

الجهل نوعان : نوع يعذر به صاحبه ، ونوع لا يعذر به ، حقيقة جهلها الكثيرون قال ابن القيم : وَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَهُ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنْ مِنْ ابْتِلَاءِهِ بِقَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَالِهِ بِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَسْتَبِغُ إِعْرَاضَهُ وَعَشْوَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكَانَ عُقُوبَةَ هَذَا الْإِعْرَاضِ أَنْ قَبِضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقَارِنُهُ فَيَصُدُّهُ عَنِ سَبِيلِ رَبِّهِ وَطَرِيقِ فَلَاحِهِ ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ، حَتَّى إِذَا وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ ، وَعَايَنَ هَلَاكَهُ وَإِفْلَاسَهُ ، قَالَ : { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبئْسَ الْقَرِينُ } وَكُلٌّ مِنْ أَعْرَاضِ الْإِعْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ قَلِيلًا بَدَأَ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَإِنْ قِيلَ فَهَلْ لِهَذَا عَذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هَدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } قِيلَ : لَأَعَذْرٌ لِهَذَا وَأَمثَالِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ مَنَشَأُ ضَلَالَتِهِمْ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ؛ فَإِنَّهُ مَفْرُطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اتِّبَاعِ دَاعِيِ الْهُدَى ، فَإِذَا ضَلَّ فَإِنَّمَا أَتَى مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ ، وَهَذَا يَخْتَلَفُ مِنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا ، قَدَاكَ لَهُ حُكْمٌ آخَرٌ ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلَ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } وَقَالَ تَعَالَى { رَسَلْنَا مَبشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلْمَ الْبَشَرُ عَلَى اللَّهِ جَهْدَ بَعْدِ الرُّسُلِ } وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } وَقَالَ تَعَالَى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَلَمْ يَقُولْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ . مفتاح دار السعادة (1/208) .